

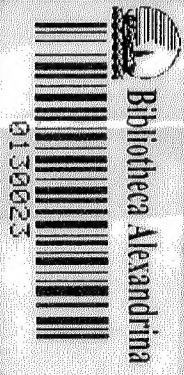
دكتور محمد أحمد محمد
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - سوهاج

العز و التيموي

لبلا د الشام وآثاره

(١٠٣ هـ / ١٤٠٠ - ١٤٠١ م)

دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع





24950

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف :	356.7
رقم التسجيل :	19875

دكتور محمد أحمد محمد
مدرس التاريخ الاسلامي
كلية الآداب - سوهاج

الخبرو التيموري

لباد الشام وآثاره

(١٠٣١ هـ / ١٤٠٠ - ١٤٠١ م)

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

THE
FEDERAL
BUREAU OF
INVESTIGATION
OF THE
DEPARTMENT OF JUSTICE
WASHINGTON, D. C. 20535

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا بحث يعالج « الغزو التيموري لبلاد الشام » .
دعاني الى تناوله تلك الفترة المتى وقع فيها ذلك الغزو والتي
تمثل مرحلة تاريخية خطيرة جديرة بالدراسة والاعتبار ، لما لها
من معانى ودلالات ، لعل من أهمها محدودية نشاط مصر
الملوكية فى دفع الأطماع الخارجية عن بلاد الشام فى أول عهد
الجراسقة ، مما يعكس لنا حالة الضعف التى مرت بها مصر
اذ ذاك ، الأمر الذى أتاح لتيمورلنك فرصة لتنفيذ سياسته
التوسعية على حساب ضعف الدولة الملوكية .

كما أن ذلك الغزو يجعلنا نستحضر ما كان لمصر من مكانة
بارزة بين حين وآخر على مر العصور الاسلامية ، وما كانت
تحتله كمركز للحماية للمناطق التى امتد اليها نفوذ المماليك فى
بلاد الشرق ، اذ كثيرا ما يحدث التوتر والاضطراب فى تلك
المناطق فى حالة اذا ما كانت مصر تعاني من أسباب الضعف
والاضمحلال ، على حين يسودها الاستقرار حينما تؤدى دورها
المعهود فى تأمين هذه البلاد من أى تمرد داخلى أو أطماع
خارجية ، ويتضح لنا دور مصر فى هذا السبيل بين عهدى القوة
والضعف اذا ما تناولنا دورها فى درء الأخطار المغولية الواقعة

على بلاد الشام في عهد قطز وببيرس وبنى قلاون ، وجهودها في درء نفوس الأخطار في أول عهد الجراكسة ، اذ كان الأول جاسما دافعا ، على حين كان الأخير ضيفا محدودا ، وهو ما نعينه من دراستنا لهذا البحث ، فضلا عن عنايتنا بأهمية ذلك الصراع من حيث مؤثراته وأبعاده .

وتناولت تلك الدراسة أربعة موضوعات ، عالجت في الأول « دور مصر » في أحداث الشرق الاسلامي بين عهدي القوة والضعف في عصر سلاطين المماليك ، كما اهتمت بأحداث الغزو التيموري لبلاد الشام ، فتناولت في الجانب الثاني الخطط العسكرية ، وفنون القتال وما تكشفه لنا من دلالات ومعاني ، وأما الجانب الرابع ، فخصصته لتأثيرات ذلك الغزو على الحياتين الاقتصادية والاجتماعية في الشام ومصر ، وأنهيت الدراسة ، بالحديث عن الأبعاد الحضارية لذلك الغزو ، مبينا اسهاماته بطريق غير مباشر في التطور الحضاري لحضارة الدولة التيمورية ، وما ألحقه من كارثة حضارية ببلاد الشام .

هذا وبالله التوفيق وعليه قصد السبيل ،،

يكشف لنا الغزو التيمورى لبلاد الشام طبيعة الصراع بين القوى المتنافسة في الشرق الأدنى الاسلامى فيما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) ، كما أن أخبار هذا الغزو يؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك دور السلطنة المماليكية على طريق درء الأخطار المحدقة بمصر وبلاد الشام جملة وتفصيلا ، ذلك أن مصر كانت تمثل في عهد ازدهار تلك السلطنة مركز الحماية لشرق البحر المتوسط ، فضلا عن دورها في تأمين كثير من بلاد الشرق الأدنى المشمولة بالحماية المماليكية على حين يسود الاضطراب تلك البلاد اذا ما أخذت هذه السلطنة سبيلها الى الضعف .

وأكبر دليل على صحة ما ذهبنا اليه ذلك الصراع المماليكى المغولى بين عهدين ، أولاهما يرتبط بذلك الدور الذى قامت به مصر في درء الأخطار الايلخانى عن بلاد الشام في عهود قطز والظاهر بيبرس وبنى قلاون ، وثانيهما اخفاق السلطنة المماليكية الجركسية في مصر ودرء الخطر التيمورى الذى حل بتلك البلاد ، ومحور النزاع في هذا الميدان نجاها أو اخفاقا في هذين العهدين ظل موقوفا فترة طويلة من الزمن على دور مصر المملوكية سلبا وايجابا في مواجهة الأطماع المغولية ، ذلك أن مصر أسهمت بدور هائل في وقف الأطماع الايلخانية التى اتجهت صوب بلاد الشام استكمالا للاستراتيجية الايلخانية التى تدور حول محور واحد وهو نشر الأطماع في بلاد الشرق رغبة في تكوين امبراطورية مغولية مقترامية الأطراف .

ويأتى دور مصر فى هذا السبيل من خلال الجهود الموفقة
التي بذلها السلاطين المماليك بعد انتصارهم فى « عين جالوت » ،
اذ ضموا بلاد الشام الى مصر (١) ، وأفادوا فيما تؤكد من
موارد هذه البلاد ، وأخضعوا النظام الاقطاعى ليكون أداة
طبيعة فى خدمة الصرف على نفقات الجيوش وإعلان الجهاد ،
مدفوعين فيما نرى بذلك الاستقرار الاقتصادى الذى ساد مصر
فضلا عن الارتقاء بالشخصية المملوكية التي لقيت استياء إبان
قيام دولتهم ، على أن الدافع الأول له نتائج البالغة الأهمية فى
الانتصارات التي أحرزها الظاهر بيبرس (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ) —
(١٢٦٠ — ١٢٧٧ م) ووقفه للغارات الأيلخانية حتى وفاته (٢) .

ولا ننسى فى هذا السبيل العامل الدينى ، واسهام مصر فى
توحيد الجبهة الإسلامية بانضمام العناصر المماليكية المارقة فى
الشام الى جانب السلطة الحاكمة فى مصر (٣) ، وإحياء الخلافة
المعبسية فى القاهرة (٤) واتباع المذاهب السنية الأربعة فى
الوظائف العلمية والقضائية (٥) ، وتأتى هذه الاجراءات لتتويجا
لما اتخذ المماليك فى مصر سبيلا للنهوض بالمسلمين وسبيلا —
أيضا — للارتقاء بالشخصية المملوكية التي باتت عنصرا فعالا
ومؤثرا فى تطور الأحداث السياسية فى منطقة الشرق الأدنى
الإسلامى فى وقت تطلع فيه المسلمون فى هذه المنطقة الى قوة
تخلصهم من الوثنيين المغول (٦) .

كانت للجهود التي بذلها المماليك الأوائل أكبر الأثر فى

القضاء على الأسطورة المغولية التى تقول أن « المغول قوم لا يغلبون » على حين اختلف الأمر فى بداية الدولة المملوكية الثانية (٧٨٤ - ٩٢٣ هـ) (١٣٨٢ - ١٥١٧ م) ، ذلك أن دور مصر فى وقف الأخطار الخارجية كان اذ ذاك ضعيفا ضيقا محدودا ويرجع ذلك الى الأزمة الاقتصادية التى أخذت تزحف على مصر منذ سنة الشراقي سنة ٧٧٦ هـ فى عهد السلطان الأشرف شعبان ، وامتداد تلك الأزمة على مر فترة زمنية طويلة كانت ايدانا باضمحلال سلطان الممالك فى مصر والشام (٧) على أن تلك الأزمة امتدت فى عهدي السلطانين الظاهر برقوق (٧٨٤ - ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ - ١٣٩٨ م) وابنه فرج (٨٠١ - ٨٢٥ هـ / ١٣٨٩ - ١٤١٢ م) ، ولنضرب مثلا بعهد الأول ، اذ تعرضت البلاد فى عهده قبيل قدوم تيمورلنك بجفاف على الشام لأزميتين خلال سنتي ٧٩٧ هـ و ٨٠١ هـ وكان من شأنهما أن ألقت البلاد المصرية فى هوة من المفوضى واشتد الغلاء بالناس بعد أن استولى الفناء أراضيهـم (٨) •

واقترنت هذه الأزمة بقيام النزاع السياسى بين الممالك الأتراك والممالك الجراكسة ، وأفقد ذلك النزاع السلطان برقوق سلطانه فتره زمنية قصيرة ، غير أنه ما لبث أن عاد سريعا الى مقعد السلطنة من جديد (٩) ، ومما يجدر ذكره فى هذا السبيل أن الناس فى الشام ومصر انشغلوا بهذا الصراع الداخلى حول السلطنة معبرين عن سخطهم تجاه السلطة الحاكمة ، فنهبوا القلعة ، واستولوا على ما فى حواصل الاسطبل السلطانى من

سروج (١٠) كما كان للعمامة في مصر خلال تلك الأزمنة دور في التعبير عن سخطهم للسلطة الحاكمة ، فخرجوا في صورة ثورات معلنين استيائهم ازاء ما ألم بهم من ظلم وجور في ظل النظام الاقطاعي ، ومن مظاهر ذلك ، أنهم خرجوا سنة ٨٠٠ هـ مطالبين برقوق باطلاق سراح والي القاهرة علاء الدين الطبلاوى الذى أتاح لهم حياة مستقرة (١١) ، كما كانت لثورات العريان نفس الدور ، اذ تاروا في مصر والشام سنة ٧٩٧ هـ - ١٣٩٤ م حتى بلغ الأمر بثوار العريان في مصر أن طالبوا عريان الكرك بالموقف الى جانبهم لنزع السلطنة من برقوق (١٢) .

والأمر الجدير بالاعتبار أن هذه الأحداث قد أملت بمصر والشام في وقت كان فيه تيمور قد نجح في دخول العراق سنة ٧٩٥ هـ وأخذ يزحف بجحافل على بلاد الشام ، فانشغل برقوق بأنباء الغزو التيمورى وأخذ يعد العدة ، غير أن الضعف والوهن الذى أصاب جبهته الداخلية لم يعطه فرصة الوثوب على تيمور ، على أن هذا الأخير انشغل بتوسعاته في بلاد الكرج وحوض الفلجا والهند مما أتاح لبرقوق فرصة في أن يكسب ولاء البلاد المشمولة بحمايته والعثمانيين ، وانتهى الأمر بنجاحه في تكوين جبهة موحدة ضمت صاحب سيواس وزعيم التركمان (المشاة السوداء) وخان القبيلة الذهبية ، والسلطان العثمانى بايزيد (١٣) .

ويبدو أن برقوقا خرج الى الشام حيث حلب مدفوعا بتلك

الجبهة لاعادة أحمد بن أويس الجلائرى الى عرشه في بغداد ،
غير أنه ما لبث أن عاد الى القاهرة حيث توفي سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٩
دون أن تتاح له الفرصة لاطهارشجاعته (١٤) .

ولم تكن بداية السلطان فرج بن برقوق أحسن حالا من
عهد أبيه ، اذ ثار في وجهه نائب الشام وحماه وطرابلس وحلب
العرب والتركمان وانضم الى جانبهم الأمير ايتمش في القاهرة ،
وعلى الرغم من اخماد هذه الحركة ، الا أنها سرعان ما عادت
سيرتها الأولى في وقت كان تيمور لنك قد أظهر أطماعه في أراضي
الدولة المملوكية (١٥) .

ومن الثابت أن مصر في عهد فرج بن برقوق كانت تعاني أزمة
اقتصادية طاحنة أشار اليها المؤرخون المعاصرون « بأعوام
الحزن » (١٦) ، حيث انخفضت مقادير الجباية في كافة الأعمال
المصرية بصورة لم يسبق لها عهد من قبل (١٧) على أثر ذلك
الخلل الذي حل بالنظام الاقطاعي ، وواكبت تلك الأزمة ظهور
التهديدات التيمورية لأراضي الدولة المملوكية ، ومن ثم كان دور
مصر في مواجهة هذه الأخطار ضعيفا ، وانتهى الأمر بأن نجح
تيمور لنك في الاغارة على الشام ، وغنم مغنم كثيرة ما لم يحققه
الايلاخانيون في تلك المنطقة في أوج عظمتهم اللهم الا ذلك القدر
الضئيل الذي أخزوه زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (١٨) .

والواقع أنه لم تكن هناك جهود قام بها الجراكسة في
تلك الآونة تعويضا لما منيت به البلاد من هزات سياسية

داخلية وأزمات اقتصادية ، ذلك أنه لم تكن هناك ظروف تسمح
بإعلان الجهاد الديني بالصورة التي رأيناها عند المماليك
الأوائل ، وكل ما في الأمر أن برقوقا لما أحس بخطر تيمورلنك
سارع إلى مراسلة السلطان العثماني بايزيد وقرا يوسف زعيم
التركمان يستحثهم للوقوف بجانبه لدرء الخطر الذي ألم بهم
جميعا ، ولا يعني ذلك أن برقوقا نجح في تكون جبهة إسلامية •

فصحيح أن هناك قبولا وارتياحا أبداه الجراكسة تجاه
الانتصارات العثمانية على الأوربيين ، وصحيح أيضا أن
السلطتين الجركسية والعثمانية كان يجمعهما روح الموفاق في بداية
الأمر ، وتبادلا الهدايا (١٩) وخرج المبعوثون من قبل السلطان
العثماني إلى السلطان المملوكي برقوق سنة ٧٩٦ / سنة ١٣٨٨م
بقصد تحذيره من تحركات تيمورلنك (٢٠) ، على أن ذلك كله
لم يمنع سلاطين العثمانيين من أن يتجهوا صوب أراضي الدولة
المملوكية لنشر أطماعهم وتحقيق استراتيجيتهم القائمة على الغزو
والتوسع ، وأكبر دليل على ذلك نجاحهم في عهد « بايزيد » في
غزو ملطية سنة ٨٠٣ التي كانت مشمولة بالحماية المملوكية (٢١)
الأمر الذي جعل السلطان فرج بن برقوق يعلن استنياه ازاء
مقاصد العثمانيين التوسعية ، ولم يكن الأمر مقصورا على ذلك ،
بل تطور الأمر حتى رأينا كبار الأمراء في مصر يحذرون السلطان
من ذلك الاتجاه العثماني الذي أظهر نواياه العدوانية تجاه
المماليك (٢٢) •

ويجدر بنا أن نشير هنا الى أنه اذا كان هناك توافق بين
العثمانيين والجراكسة ، فانما يرجع الى أن هاتين القوتين قد
تعرضنا لعدو واحد مشترك وهو تيمور لنك الذى شن غاراته على
كثير من أراضى الدولتين .

ويصدق ما ذهبنا اليه على ذلك التقارب الذى نشأ بين
السلطان المملوكى والسلطان العثمانى من جهة ، وبينهما وبين
زعيم التركمان (الشاة السوداء) « قرا يوسف » ذلك أن الأخير
كانت تربطه بتيمور لنك علاقات عدائية وكان من أكبر مظاهرها
تعرضه للنفى بأمر من تيمور لنك (٢٣) ، ولم يجد مخرجاً أمامه
سوى التحالف مع العثمانيين عليهم يخرجونه مما هو فيه من ظلم
وجور ، وكان طبيعياً أن يحدث نوع من التحالف بين هذه القوى
الثلاث ازاء أطماع تيمور لنك .

اذن لم يكن هناك تحالف اسلامى تجاه أغراض تيمور
التوسعية ، وكل ما فى الأمر أن هذه القوى الثلاث استجمعت
حول هدف واحد لدرء الخطر التيمورى ، كما أن تيمور لنك
لم يكن وثنياً ، ولا مسيحياً ، بل كان مسلماً شيعياً وهو أمر يجعلنا
نذهب الى عدم الأخذ بتلك المقولة التى تشير الى أن المماليك
نجحوا فى عهد برقوق فى تكوين الجبهة الاسلامية درءاً للأخطار
التيمورية (٢٤) .

ويمكن القول — اذا صح هذا التعبير — أنه تعاطف مذهبى
من خلاله وقف العثمانيون السنيون الى جانب المماليك لفترة

زمنية قصيرة لمناورة تيمور الشيعة الطامع في غزو كليهما ، كما أنه يمكن القول بأن هذه القوى تكاثفت في صورة جبهة قومية لدرء الخطر المشترك ، حتى اذا ما سمحت الظروف لاحداها أن تثبت على أراضي الآخر تحقيقا لاستراتيجية توسعية ، فاذا بها تبادر لتحقيق ذلك ، وليس أدل على ذلك من ذلك الغزو العثماني سنة ٨٠٣ هـ للطفية المشمولة بالحماية المملوكية .

بدأ تيمور لنك أعماله الحربية باخضاعه سمرقند (٢٥) ، وخوارزم (٢٦) ، ومنها اتجه الى هراة (٢٧) ، فأخضعها سنة ٧٨٥ هـ / سنة ١٣٨٣ م ، وسرعان ما أخذت استراتيجيته سياسة قرض الارادة ، فانتقل الى شمال فارس سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م ، وأخضعها ، ثم أذربيجان (٢٨) ، وجورجيا سنة ٧٨٨ — ٧٨٩ هـ سنة ١٣٨٦ — سنة ١٣٨٨ م ، ولم يلبث أن اتجه صوب حوض نهر الفلجا (٢٩) ، ثم انتقل الى الهند ، واستمر على تلك الحال حتى نشر أطماعه في العراق سنة ٧٩٥ هـ / سنة ١٣٩٤ م ومنها أخذ يتجه صوب أراضي الدولة المملوكية في الشام (٣٠) .

ويمكن لنا أن نقسم الجهاد الماليكي تجاه الخطر التيموري الى مرحلتين أولاهما : يمثل تهديدات بين الجانبين عن طريق تبادل الرسائل العلنة ، فكان تيمور لنك يرسل برقوفا برسائل يهدده فيها اذا لم يذعن لأوامره ويخضع لارادته في حين كان برقوفا لا يعبأ بمثل هذه الرسائل ، ويرد عليها بتهديد قاتل له

(لا سمع لكم ولا طاعة) (٣١) مدفوعا بهذه الجبهة المشتركة
التي سارع الى تكوينها على نحو ما ذكرنا ١٠

كما أن هذه المرحلة من الجهاد المماليكى تجاه أخطار
تيمورلنك تتسم بالهدوء دونما حدوث مواجهة عسكرية بين
الجانبيين ، حيث اكتفى كل جانب بالوقوف على أحوال الآخر ،
ويرجع ذلك فيما نؤكدته الى ظروف كليهما ، ذلك أن تيمورلنك
لم يمض فى طريقه بعد دخوله العراق لضرب السلطنة المملوكية
فى الشام ، اذ شغل لنفسه بتوسعاته فى الهند مما كان له أثر كبير
فى تأجيل الصدام بينه وبين السلطان المملوكى (٣٢) ، ولما عاد
من الهند اتجه صوب بغداد من جديد سنة ٨٠١ / ١٣٩٩ لاختراع
أحمد بن أويس الذى شكل مع برقوق تحالفا مما مكّنه من
استرداد عرشه والتغلب على الحامية التى تركها تيمورلنك فى
بغداد (٣٣) أما برقوق فكان مشغولا هو الآخر بالمشاكل التى
أملت بمصر والشام سياسية كانت أم اقتصادية ، فضلا عن انشغاله
باعداد العدة لمواجهة الخطر التيمورى ، وظل على تلك الحال
الى أن توفى سنة ٨٠١ هـ ليخلفه ابنه الطفل فرج الذى لم يعد فى
مقدوره ما يرقى الى مواجهة أخطار تيمورلنك ، ومن ثم نجح
هذا الأخير فى دخول بغداد سنة ٨٠٢ هـ ، وضرب الجيوش
الشامية المتحالفة مع أحمد بن أويس (٣٤) .

أما المرحلة الثانية على طريق الجهاد المماليكى ازاء الخطر
التيمورى ، فانها تشكل أزمة خطيرة فى تاريخ دولة المماليك فى

مصر والشام ، ذلك أن الجهاد في تلك المرحلة لم يأت ثماره ، لما واكبه من أحداث تتسم بالغوغاءية من جانب الانقسامية من جانب آخر ، ففى الأولى ، لم ير السلطان فرج بدا من توفير المال طلبا للجهاد ازاء ما ألم ببلاده من أزمات ، فلجأ الى فرض ضرائب استثنائية على التجار ، فضلا عن قبوله لحل نصف الأوقاف ، وارثكب الأمراء المكلفون بجباية الأموال أعمالا غوغائية كانت لها أسوأ الأثر في نفوس الأهليين ، أما الثانية فتشير الى تصدع الجبهة الموحدة التى كانت على عهد برقوق وذلك بتحذير الأمراء لسلطانهم الصغير فرج بن برقوق من نوايا العثمانيين الذين استولوا على ملطية ، فضلا عن ذلك الانقسام الذى حدث في الجبهة الداخلية على أثر اندلاع الثورات الشامية التى تجددت في وجه فرج بعد وفاة أبيه (٣٥) .

وكانت لهذه الأسباب التى سقناها أسوأ الأثر على الدور الممالىكى ازاء الخطر التيمورى ، ذلك أنه لم يكن دافعا حاسما حيث بذل النواب الشاميون قصارى جهدهم في وقت كان فيه السلطان بعيدا عنهم .

كان طبيعيا أن يشرع تيمورلنك في غزو أراضى الدولة المملوكية لتتويجا لأعماله التوسعية منتهزا حالة الضعف التى منيت بها هذه الدولة فاستولى سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م على سيواس (٣٦) ومرعش ، وغينتاب (٣٧) ، وسرعان ما دخل حلب في الربيع من نفس السنة (٣٨) ، ومنها اتجه الى دمشق وظل بها

ثمانين يوما ، غير أنه مالبث أن رحل عنها في ٢ شعبان سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م طالبا الصلح على قاعدة تبادل الأسرى شريطة أن تصك عملة باسمه ، وانتهى الأمر على هذا النحو بأن غادر تيمورلنك الشام دون أن يدخل مصر أو يحكمها ، حيث أخضع في طريق عودته السلطان بايزيد العثماني في أنقره سنة ٨٠٤ هـ ، وأعاد فتح بغداد ، ثم عاد الى بلاده حيث توفي في سمرقند سنة ٨٠٧ هـ .

والأمر الجدير بالاهتمام ، أنه لم يكن للسلطنة المماليكية دور حاسم في دفع هذا الخطر ، اللهم الا ما أمدنا به المعاصرون عن ذلك اللقاء الذي جرى بين الفريقين في واقعة دمشق سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م في المرحلة الأخيرة من هذا الصراع بما يبين لنا أنه قد حدث التحام أصيب فيه الجيش المملوكي بخسارة فادحة (٣٩) غير أن السلطان فرج بن برقوق لم يظهر شجاعته وترك ميدان القتال بعد أن أوقع تيمورلنك الفتنة في صفوف أمراءه (٤٠) مما أتاح لهذا الأخير فرصة دخول المدينة وعاث فيها فسادا ، وأعمل السيف في رقاب الأهليين ، واستولى على دروبها وحاراتها واقطاعاتها على نحو ما سنرى .

لم تحدث — بوفاة تيمور — مواجهة عسكرية بين المماليك والتيموريين غير أن العلاقات استمرت في توتر بين السلطان المملوكي برسباي (٨٢٥ هـ / ٨٤١ هـ — ١٤٣٢ / ١٤٣٧ م) وبين شاه رخ حول النزاع على كسوة الكعبة (٤١) وأطامعها في

منطقة الفرات العليا (٤٢) ولم ينته ذلك النزاع بين الطرفين
بوفاة برسباي ، اذ ظل مستمرا بين السلطان حقمق (٨٤٢ هـ /
٨٥٧ هـ — ١٤٣٨ م / ١٤٥٣ م) وشاه رخ ، على أنه سرعان
ما تحول الى المسألة بحيث غدت العلاقات بين الجانبين قائمة
على الود واللين حتى وفاة شاه رخ ٨٤٩ هـ / ١٤٤٤ م (٤٣) ،
لما أبداه حقمق من حسن النوايا بسماحة لشاه رخ بارسال
كسوة الكعبة .

وأكبر ما يقابلنا من أدلة على ذلك الضعف الذي أصاب
القوة المالكية في تلك الآونة ما استخلصناه من اشارات الكتاب
المعاصرين من أخبار حول المخطط العسكرية وفنون القتال التي
اتبعتها القيادة الشامية ازاء دفع الغارات الهجومية التي وجهها
تيمورلنك على النيابات الشامية ، ذلك أن أول ما يكشفه لنا أنباء
هذا الغزو أنه لم يكن هناك أية امدادات عسكرية مصرية
أرسلها السلطان المملوكي الى الشام باستثناء ما قام به في نهاية
مراحل ذلك الغزو ، وهو أمر كان من شأنه أن تولت القيادة في
النيابات الشامية أمر المواجهة مما يعكس لنا ذلك الضعف
الشديد الذي حل بمصر وأحوالها السياسية والاقتصادية ١٠

نستخلص من كتابات المقریزی (ت ٨٤٥هـ) (٤٤) وابن تغري
بردی (ت ٨٧٤ هـ) (٤٥) أن جيش تيمورلنك الزاحف على بلاد
الشام قد سار بجذء الأطراف الشامية صوب القلاع والحصون
مع استخدام الجواسيس لكشف أخبار المواقع المراد غزوها ثم

العودة لتبليغ قيادة الجيش ، ما توصلوا اليه من معلومات ، وكان طبيعيا للنجاح في هذا السبيل أن يهتموا بمعرفة الطرق والدروب والمسالك ، وهو أمر شائع عند اهتمامات المغول (٤٦) *

وكان تيمورلنك في حروبه التي شنّها على النيابات الشامية يلجأ الى أساليب المهادنة والمكر والدهاء في حالة اذا ما واجهه صعوبات في غزو الموانع الحصينة ، ولنضرب مثلا لاستخداماته لهذه الأساليب بما اتخذته سبيلا للخروج من المواقف التي تعرّفت لها في حصاره لخماء ودمشق (٤٧) *

وكان طبيعيا أن تكون للجيش الشامية خططها وتنظيماتها التي توضح لنا خصوصية النظام الحربي للدولة المملوكية على أنه سرعان ما انعدمت هذه الخصوصية في دفع الغارات التيمورية لقلة الجند وعدم وصول الأمدادات المصرية اليها الأمر الذي يجعلها تتجه الى الاستعانة بالخطة البيزنطية القديمة والتي بمقتضاها انحصرت المقاومة الشامية في سلسلة من التحصينات الداخلية في حلب وسواس وحماة ودمشق (٤٨) *

اتخذت المعارك التي دارت بين تيمورلنك والقيادة الشامية صورة يوميات بين خطة هجومية من جانب الجيش التيموري تقابلها خطة دفاعية من جانب الجيش الشامية تدور حول نجاح الشاميين في اواجهة بعض الوقت الى أن ينتهي الأمر بهم باللجوء الى حصونهم المنيعه بمجرد نجاح تيمورلنك في اتخاذ تدابير العسكرية ، كما أن النزاع الذي دار بين النيابات في الشام والسلطة الحاكمة في مصر لم يقف حائلا أمام جمع

شنت الذواب الشامية للوقوف صفا واحدا ، ومن ثم كانت المخططة العسكرية الشامية تعتمد على انطلاق الجيوش في صورة امدادات عسكرية من سائر النيابات الشامية الى المنطقة التي يقع عليها الغزو التيمورى •

ولنضرب مثلا بما اتخذته القيادة في النيابات الشامية ازاء الخطر التيمورى الذى وقع على مدينة حلب (في ربيع ٨٠٣ هـ / أكتوبر ١٤٠٠ م) اذ خرجت العساكر الشامية اليها تحت امرة كل من نائب الشام ونائب حماه ونائب طرابلس ونائب صفد ونائب غرة (٤٩) وسرعان ما أخذت هذه الجيوش تنظيما في شكل ثلاثة رؤس ، ميمنة ، وميسرة ، وقلب ، وكان يشغل الميمنة عساكر دمشق ، فى حين كان يشغل الميسرة عساكر حلب ، واحتلت بقية العساكر قلب الجيش (٥٠) وواكب هذا التنظيم اعلان التعبئة العامة بحيث صار الأهليون شأنهم فى ذلك شأن العسكر يؤدون مهام قتالية دفعا للخطر الواقع على مدينتهم (٥١) ، غير أن تلك الاستعدادات لا ترقى الى مواجهة جحافل تيمورلنك التى يذكر عنها (٥٢) المؤرخون أنها (قد سدت الفضاء) فى وقت غابت فيه عناية السلطنة المملوكية فى مصر ، مما كان له أسوأ الأثر على نفوس المحاربين ، اذ (كانت الأهواء مختلفة ، والآراء مغلوطة ، والعزائم محلوطة ، والأمر مدبر) (٥٣) •

انتهى الأمر بهزيمة الجيوش المتحالفة التى لجأت وسائر الأهلىين الى قلعة حلب التى تكفل لهم الحماية ايا بها من تحصينات تتمثل فى أبراجها وأسوارها وخندقها الذى يحيط

جها من كل جانب ، على أن تيمورلنك نجح في اقتحام القلعة بعد أن نقبها بالمنجنقات ، وردم خندقها في وقت لم يكن للمعتصمين يداخلها أثر البتة (٥٤) وهكذا دخل تيمورلنك قلعة حلب وعامله عسكرها بما ينطوى على القسوة والظلم (٥٥) الأمر الذي دعاهم الى طلب الأمان ، ولم ير تيمورلنك ازاء هذا التسليم غضاظة في أن يستمر في فظاظته حتى ألحق بالأهلين ألوانا من القهر ها لم يعهدوا بمثله ، على نحو ما أورده صاحب كتاب السلوك (٥٦)

ويبدو أن الفشل الذريع الذي منيت به الجيوش الشامية ألجأهم الى اتباع نظام الاستنفار الذي بمقتضاه ينهض النائب ينادى في الناس بالتحول الى المدينة والاستعداد لملاقاة العدو وكان ذلك نداء قوميا يعلنه النائب استنفارا للناس للزود عن أراضيهم وممتلكاتهم (٥٧) لذلك لم يكن ذلك النظام في تلك الآونة يتم داخل الجيش ، بل كان موجها لاعلان التعبئة العامة بين الأهالي في وقت ضعفت فيه الذاتية المملوكية في ادارة الحروب ، على أن دور الأهالي في دفع الاخطار الخارجية عن مدتهم لا ترقى في هذا السبيل دونما وقوف قيادة بجانبهم تدبيرا لأمرهم ، ولناخذ اشارات ابن تغرى بردى عن أهالي دمشق دليلا على صحة ما ذهبنا اليه ، ففي ذلك يقول « فلعمري (٥٨) لو رأى من *** قتال أهل دمشق الآن وشدة بأسهم وهم بغير نائب ولا مدبر لأمرهم فكيف ذلك لو كان عندهم متولى أمرهم بمواليكه وأمراء دمشق وعساكرها لكان يحق النديم والاعتراف بالتقصير *** »

على أن ضعف القيادة لم يقف حائلا أمام الأهالي الشامية من أن تؤدي دورا هائلا في مدافعة الحاميات العسكرية التي يتركها تيمورلنك حماية للمواقع التي يغتتمها ماضيا الى غزوات أخرى ، وتلك التجريدات التي كان يرسلها بين حين وآخر لغزو أطراف النيابات في الشام في الوقت الذي كان مشغولا فيه لغزو النيابات الكبرى ، ونستدل في ذلك بدور أهل القرى في طرابلس ومباغتهم للعسكر التيموري الذي أرسله تيمورلنك صوب تلك المدينة على حين غفلة منهم ، وقتلوهم عن آخرهم رميا بالحجارة في شعاب الجبال والتلال على نحو ما يدور في حرب العصابات (٥٩) .

وتمثل أحداث الغزو التي ألت بمدينة حلب تلك الأحداث التي منيت بها مدينة دمشق ، وأول ما تكشفه أحداث هذا الغزو وأساليب المكر والدهاء التي اتبعها تيمور في اقتحام أسوار وقلعة دمشق ، ذلك أنه لما أيقن صعوبة اقتحام أسوار مدينة دمشق تظاهر بطلب الصلح وبعث برجلين من قبله لتبليغ ادعائه لأهالي دمشق الرابضين أعلى السور (٦٠) وسرعان ما قبول طلب الصلح بالارتياح حيث أسند المعتمدون مهمة اتمام الصلح لقاضي القضاة تقى الدين ابراهيم بن محمد الذي خرج للقاء تيمور ، فما كان من هذا الأخير أن خادعه (بتنسيق كلامه) (٦١) مؤكدا له أنه لا يريد الا أموالا من أهل دمشق ، وانتهى الأمر بأن أفتح القاضي الدمشقيين بالموافقة على الصلح ، وفتحت على أثر ذلك أبواب المدينة ، وما لبث العسكر التيموري ، أن دخلوا

دمشق وتفرغوا لاقتحام القلعة ، وتذكر المصادر أن تيمور أعدا
لاقتحام قلعة دمشق اجراءات وترتيبات (٦٢) مكنتهم من اقتحام
القلعة ومقاتلة أهل دمشق بداخلها ١٠

ويبدو أن هذا الموقف البطولى من جانب الدمشقيين قد
أثار حمية السلطان فرج بن برقوق ، فخرج للمرة الأولى في
جمادى الأولى سنة ٨٠٣ هـ على رأس جيش الى دمشق (٦٣)
وقاتل العسكر التيمورى في ظاهر المدينة الأمر الذى دعا تيمور
يعلن تظاهره لطلب الصلح (٦٤) مما أوقع الفتنة في صفوف
الأمراء فاضطر السلطان الى العودة الى القاهرة ، تاركا دمشق
لتيمورلنك (٦٥) .

وكان للغزو التيمورى أسوأ الأثر على الحياتين الاقتصادية
والاجتماعية في الدولة المملوكية ، فقد أحدث خلا في ذلك
الاستقرار الذى نعمت به بلاد الشام على مر العصور الاسلامية
المتلاحقة ، ذلك أنه بعد أن كانت هذه البلاد (كثيرة الميرة
والرزق) (٦٦) باتت بعد ذلك الغزو أرضا مستباحة بحيث صار
من اليسير لتيمورلنك اغتنام وجباية ما يحلو له من الأموال
النقدية والمقررات العينية ، فقد أطلق لنفسه في دمشق الحصول
على أنواع (المأكول والمشروب والدواب والملابس والتحف)
بما يسمى « الطقزات » في اللغة التركية (٦٧) ، وتفصيلا لذلك ،
تذكر أنه حمل اليه من أهالى دمشق عشرة آلاف ألف دينار بما
يسلوى ما تغله الأملاك عندهم قدر جباية ثلاثة أشهر تمثل جملة
حافلات الأراضى (٦٨) ، فضلا عن ما حمل اليه من أموال الناس

الذين فروا من دمشق وما استولى عليه من السلا-
وحقيرها) (٦٩) ، ومما يجدر ملاحظته أن هذا الحاد
يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ما كان عليه الأهليون
الشامية من الثراء والاستقرار قبل وقوع ذلك الغزو
ومما ضاعف من أمر تلك الأزمة التي منيت
الشامية أن تيمورلنك أقبل على الأراضي الشامية
بإجراءات تعسفية عاملا في جنبااتها ودروبها الذهب و
الأمر الذي ألحق بتلك البلاد أزمة اقتصادية عظمى
أكبر مظاهرها أن نزل بالناس (بلاء عظيم ، فقلت
وعز وجود الأقوات ، وبلغ المد القدح — بما يعادل أر
— أربعين درهما فضة) (٧٠) .

ولم يقتصر أمر هذه الكارثة عند هذا الحد
تيمورلنك على أراضي البلاد عنوة فاستولى على خ
وحارتها ودروبها ووزعها على أمرائه ، وسرعان ما ا
أمير في ناحيته على أموال المستوطنين حتى بلغ الا
ما آمدنا به « ابن تغرى بردى » (٧١) بأن (حل با
من البلاء ما لا يوصف) .

ويظهر لنا تأثير ذلك الغزو على الحياة العامة في
الشامية بعامة ودمشق بخاصة ، من خلال ما حدثنا
المعاصرون ، اذ سجلوا لنا ما أنزله تيمور بأهالي د
ألوان القهر والظلم ما لا يوصف ، وكان قدوم عد

احراق الدور والمنازل والمساجد تنتمه لأعماله الارهابية حتى
صارت جميع الأماكن الحضارية بتلك المدينة (أطلال بالية
ورسوما خالية) (٧٢) ♦

وينبغي أن نشير الى أن سياسة فرض الارادة التي نهجها
تيمور في غزواته لبلاد الشام أمر فرضته استراتيجيته
التوسعية عليه يفلاح في الزحف الى مصر ، غير أن هذه السياسة
لا ينبغي بالضرورة في الوصول الى تحقيقها أن يقوم الغازي
على الميول العدوانية ونشر الأعمال الارهابية في المناطق التي
أتم فتحها ، اذ يكفيه أن يكتسب من غزواته المغنم الكثيرة
المادية والعينية دونما لجوء الى تقتيل أو تشريد أو ارباب
بما يماثل أعمال تيمورلنك التي اعملها في القائمين من أهالي
البلاد الشامية ♦

ونتساءل عما اذا كان هناك من دوافع ألجأت تيمورلنك على
ارتكاب أعماله الارهابية في البلاد الشامية ؟ والحق أن ما أقدم
عليه تيمورلنك من أعمال تجاه تلك البلاد ، لا بد له من دوافع ،
وباستقصائنا لما أورده ابن عربشاه (٧٣) حول هذه القضية
نذهب الى الأخذ بأن الدوافع المذهبية كانت لها أثر بالغ الخطورة
فيما أقبل عليه تيمورلنك من سياسات عدوانية تجاه الأهالي
الشامية ، ذلك أن تيمورلنك كان شيعيا مغاليا وكثيرا ما كان
يستحضر في نفسه عداة بنى أمية للعلويين ، وما ارتكبه الأمويون
من مواقف عدائية ازاء مناهضتهم لهم في النزاع حول الخلافة ،
وكان تيمورلنك يحسب أهالي النيابات الشامية قاطبة من أتباع

أهل دمشق حاضرة بنى أمية التى أفقدت العلويين ح
الخلافة ومركزا لتوجيه الضربات القاسمة لهم حتى أنزلوا
البلايا ، وكانت هذه الظروف مدعاة لأن يلجأ تيمورلنك
عقد مجلس فى حلب دعا اليه علماءها وفقهاءها ، وحاوره
الأنزاع الذى نشب بين بنى أمية وبنى هاشم من العل
معبرا عن سخطه واستيائه ازاء ما ارتكبه بنو أمية من أ
قائلا (أما معاوية فظالم ، ويزيد ناسق ، وأنتم حلبير
لأهل دمشق وهم يزيدون قتلوا الحسين) (٧٤) وظل يد
حتى اجابة القاضي ابن الشحنة الفقيه المالكي بأن (عا
حق وأن معاوية ليس من الخلفاء) (٧٥) ولما وصلت أنب
المجلس أنسمع دار السلطنة فى مصر ، نهض السلطان ف
برقوق يستوثق فى أمر الخروج لمواجهة تيمورلنك •

إذا كان وراء ما حدث من ايقاع تيمورلنك بأهالى
خصوصا دمشق دوافعه المذهبية ، التى بعثت فى تيه
ما أقبل عليه بنو أمية منذ قرون مضت تجاه العلويين ، وب
اهتمامات تيمورلنك بقصة ذلك الصراع السياسى الدير
أوجس القضية منه خيفة فأجابوه بما يرضيه دون أن يكون
شئ بما يتفق وميولهم المذهبية •

ولا ننسى أن عادة المغول فى ادارة الحروب قد ساء
هذا المنوال الذى يتسم باشاعة التخريب والتدمير وا
وسلب البلاد ، وحسبنا فى ذلك أنهم قاموا بشن عدة غارات

بلاد الشام (٦٥٧ - ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م) وألحقوا بها
ألوانا من العذاب والدمار (٧٦) ، ولم يكن تيمورلنك أحسن حالا
من زعماء الايلخانيين ، فاتسمت غاراته على القلاع والبلاد
الشامية بالوحشية والقظاظه .

والأمر الجدير بالاعتبار أن الغزو التيمورى للبلاد الشامية
ألحق أضرار جسيمة بأحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية ،
ذلك أنه لم يكن تأثير ذلك الغزو مقصورا على ازعاج السلطة
المركزية الحاكمة في مصر ، بل امتد الى العناصر السكانية وحياتها
العامة ، اذ كان من الطبيعى أن يلجأ السلطان في مصر لعقد
مجلس في ربيع الأول ٨٠٣ هـ للمداولة في أمر توفير المال اللازم
طلبا للجهاد في وقت كانت الظروف أمامه غير ميسورة ازاء ذلك
الضعف الذى منى به نظامه الاقطاعى من جراء الكاورث
والحن التى دهمت البلاد المصرية (٧٧) ، وكان طبيعيا - أيضا -
أن يفرض ضرائب استثنائية على الفئات المميزة في مصر خصوصا
التجار ، ويقبل على حل نصف الأوقاف دونما اذعان لفتاوى
المقضاة (٧٨) وهكذا أسند السلطان تلك المهمة للأمير يلغيا
السالى (٧٩) ، فشرع هذا الأخير في كشف الأخبار طلبا لتحصيل
الأموال ، غير أنه كان مغاليا في سبيل تحقيق مطالب السلطان
فيشير كل من المقريزى (٨٠) (ت ٨٤٥ هـ) والعينى (٨٥٥ هـ) (٨١)
الى أنه جنح في سبيل الوصول الى ذلك الى تخصيص ضرائب
استثنائية شملت سائر أراضى مصر، من اقطاعات الأمراء وبلاد

السلطان ونواحي الوقف ، وأخبار الأجناد بما يماثل ثمن فرس لكل ناحية يبلغ متحصل ما تغله ألف دينار وخمسمائة درهم ، فضلا عن ما أقدم عليه من جباية ما يماثل أجرة شهر من سائر أملاك القاهرة ، ومصر وظواهرها (٨٢) كما لم تسلم أراضي الرزق (٨٣) ، إذ كان يجبى عشرة دراهم عن كل فدان من الأراضي التي تزرع قمحا أو فولاً أو شعيراً ، ومائة درهم عن كل فدان من الأراضي التي تزرع قصباً أو قلقاساً (٨٤) كما فرض على التجار أموالاً على سبيل القرض وصار (يكييس الفنادق وحواصل الأموال في الليل) (٨٥) وفي تلك الحال يتم فتح المخازن الخاصة بأثرياء القوم ممن يخزنون الذهب والفضة والفلوس ، فضلا عن ما أقبل عليه من حواصل الأوقاف ، وكان ينكل بهؤلاء الذين لم يذعنوا لآداء الجباية ، كما يتم الاستيلاء على جميع ما في خزائهم من أموال في حين كان يسمح بجباية نصف أموال الحاضرين من الذين أذعنوا لطلب الجباية من أصحاب الأموال (٨٦) .

أما المراكب ، فقد أمر بإبغا بجباية مائة درهم عن كل مركب يخرج بقصد التنزه .

ولم يكن الأم رموقوفا على انزال البلايا بالأهليين في مصر ، بل امتدت تلك المحنة والى العنصر المالكي المميز ، إذ ألزم بإبغا العاجز من أجناد الحلقة المالكية عن الخروج الى الشام ضمن عناصر الجيش بأخذ نصف متحصل اقتطاعه في السنة (٨٧) .

وانتهز أعوان يلبغا السالمى تلك الفرصة ، وقاموا بما يشبه أعمال السمسة فكان الصيرفى الذى يعاونه يقوم بتحصيل ثلاثة دراهم عن كل مائة درهم يستخرجها من أموال الناس ، على حين كان الشخص الموكل بالقيام بجمع الأموال ويسمى « الرسول » يحصل على ستة دراهم (٨٨) •

ولما أيقن السلطان فرج بن برقوق ما أحل بالناس فى مصر من جراء سياسة يلبغا التعسفية نكل به ، وأمر بمحاكمته (٨٩) فى ذلك الوقت الذى انشغل فيه بالخروج الى الشام ، غير أنه لم يدرك ذلك الا فى الوقت الذى أخذ يزحف فيه تيمورلنك على دمشق •

يتضح لنا مما تقدم أن السلطان فى مصر لم ير غضاضة أزاء ما أحدثه نظامه الاقطاعى من ضعف ميزانية الدولة من ارسال حملات لنواحى البلاد لتحصيل الأموال لتغطية نفقات الجند لدرء الخطر التيمورى الواقع على الشام ، غير أن أعضاء هذه الحملات كثيرا ما تلجأ من وراء ذلك الى تحقيق مآربها الشخصية فى جمع الأموال بصورة لا تقل شأوا عما يحدث فى عمليات القرصنة وهو أمر يعكس ذلك الضرر الذى أحدثه النظام الاقطاعى المملوكى بسائر الفئات فى مصر حتى بلغ الأمر فيما يذكره المقرئزى (٩٠) أنه (استند الضرر •• وكثر دعاء الناس على السالمى ، وانطلقت الألسنة بترفة وشتعت القالة فيه ، وتمالأت القلوب على بغضه) •

وما هو جدير بالملاحظة أن جباية الأموال التي أقبل عليها السامى على تلك الحال كانت لها أسوأ الأثر على روح التضامن الاجتماعى التى سادت عصر الماليك ، ذلك أن هذه الاجراءات التعسفية شملت أهل الذمة مما أضر بروح الوفاق التى سادت العلاقات بين تلك العناصر والسلطة الحاكمة فى مصر ، ويحدثنا المقرئى (٩١) أن يلجأ السامى قد عامل أهل الذمة بما ينطوى على القسوة والعنف ، فألزمهم بجباية الأموال ، ونكل بهم بحيث فرض عليهم قيوداً أمرهم باتباعها عند دخولهم الحمامات وأماكن العبادة •

كما كان للاقبال على حل بعض الأوقاف أثر بالغ الخطورة على روح التضامن الاجتماعى ، إذ كان من الطبيعى أن تقل على أثر ذلك الجهود التى خصصت لمجالات الرعاية الاجتماعية والتى كان للأوقاف دور كبير فى تدعيمها والمعروف أنه حدث تدهور للأوقاف فى بداية القرن التاسع الهجرى (٩٢) ، وواكب هذا التدهور أحداث الغزو التيمورى للأراضى الشامية •

كما أحدث ذلك الغزو تحولا فى التركيب الاجتماعى فى مصر ، إذ كانت مصر موطناً للفارين من الأهالى ، والعناصر الماسيكية من بطش الغزاة (٩٣) ، وكان طبيعياً فى ظل هذه الأزمات أن تفكر السلطة الحاكمة فى مصر فى إيجاد مخرج ازاء هذا التحول حتى يجد هؤلاء الفارون القادمون ملاذا لهم فى أماكن يشغلونها •

وواكب قدوم الفارين الى مصر من بطش تيمور دعوة لطرد
الأجانب رغبة في الانتقام من الأعاجم لما لحقهم من جراء
المكوارث التي أنزلها تيمور بالأراضي المملوكية حتى بلغ الأمر
بالأهلين بأن طالبوا باخراج كل من يقف على أرض مصر من
أعجمي ، فغادوا (من نصره الاسلام قتل أعجمي) مدفوعين
بتلك الدعوة التي أعلنها الفقهاء حول اعلان الجهاد لحرب عساكر
تيمور الأعاجم (٩٤) ، وما أقبل عليه الفرنج من السطو على سنة
مراكب موسقة بالغالل كان قد حملها المصريون الى سواحل
الشام تعويضاً لما أصاب بلاد الشام من القحط والغلاء الذي
أحدثه الغزو التيموري (٩٥) ١٠

ومما لا شك فيه أن رغبة السلطة في مصر في طرد الأجانب
كانت سبباً لأن يستولى الفرنج على مراكب الغلال المتجهة من
مصر صوب الأراضي الشامية ، كما أن هذه الأحداث اقترنت
بالهجوم التيموري على الأراضي المملوكية ، وأن ذلك الأخير قد
أحدث هذا المناخ الذي تسبب عنه الصراع بين السلطة
المركزية في مصر والأجانب ، وبينها وبين الفرنج في آن واحد .

كما تشهد أخبار الغزو التيموري في بلاد الشام على أنه
أفقد بطريق غير مباشر النظام النقدي توازنه في مصر والشام ،
ذلك أن أعمال النهب التي شنها العسكر التيموري شملت
الدراهم والدينارين في حين أبقت على الفلوس النحاسية بأيدي

أصحابها(٩٦) مما أحدث أزمة اجتماعية ، ذلك أن نقصان العملات الفضية والذهبية على هذا النحو في الشام ونقصانها بالتالى في مصر لكثرة الطلب عليها وجبايتها للصرف على نفقات الجيوش في وقت كثرت فيه العملات النحاسية من الفلوس قد أضر ضررا بالغاً بحياة الناس في مصر والشام ، اذ كان من الطبيعى أن تؤدى تلك الظاهرة الى تضخم خطير أدى الى ارتفاع الأسعار *

وكان للغزو التيمورى على الشام أبعاده الحضارية ، اذ أسهم بطريق غير مباشر في التطور الحضارى لسمرقند حاضرة تيمورلنك ، ذلك أنه على الرغم من شذوذ تيمور ونظافته نراه محباً للفن والأدب(٩٧) فأبقى على الفنانين السوريين واستخدمهم ، وتشير المصادر في هذا المجال الى أن تيمورلنك اختص من أهل دمشق أرباب الصنائع والحرف من النساجين والخياطين والحجارين والمبياطرة والخيمية والنقاشين ، وأمر بترحيلهم الى سمرقند(٩٨) *

والحق أن الجهود التى أسهم بها الفنانون السوريون في الحياة الفنية لمدينة سمرقند في عهد تيمور لم تأخذ قدراً من عناية علماء الآثار المتخصصين في الاسلاميات ، ومما لا شك فيه أنه كان لهؤلاء الفنانين دور هائل في نقل التأثيرات الفنية الصينية الى سمرقند مما كان له أكبر الأثر في ازدهار سمرقند كمركز لفن التصوير الاسلامى (٩٩) *

ومن الثابت أن المنسوجات في بلاد ما وراء النهر قد تأثرت
بـزخارف المنسوجات الصينية بسبب ازدياد الوارد من هذه
المنسوجات وغزوات المغول وقـدوم كثير من النساجين الذين
نقلوا الفن الصينى الى هناك ما يشير الى جهود النساجين
السوريين لنشر الفن الصينى فى زخرفة النسيج المسمرقندى
فى عهد تيمور *

والمعروف ان اقبال المغول على الفن الصينى — بالذات —
يرجع الى عهد أسرة يوان المغولية التى تبوأَت مقاليد الحكم
فى الصين حتى سنة ٦٦٨ هـ / ١٣٦٧ م مما كان له أثر لا يغفل
فى ازدياد التبادل الثقافى بين أبناء البيت الواحد المغول فى
امبراطوريتهم فى الصين وامبراطوريتهم فى ايران (١٠١) *

كذلك كان لأرباب الحرف السـوريين من الذين أمر
بترحيلهم تيمورلنك الى سمرقند دور فى الحياة العامة بهذه
المدينة ، ومن بينهم الخياطون الذين يخيطنون الثياب ، وتعتمد
هذه الحرفة من الصنائع المختصة بالعمران الحضرى (١٠٢)
كما كان من الطبيعى أن يكون للخيمية الشاميين دور فى صناعة
الخيام فى مدينة سمرقند ، كما أننا لا نستبعد ان يكون لأرباب
الوظائف السوريين دور فى حياة تيمورلنك الخاصة ، وهو أمر
أغفلته المصادر المعاصرة ، وتخص بالذكر من هؤلاء
البازدرية (١٠٣) الذين يستخدمون عند الخروج للصيد ،
والمعروف أن المغول منذ عهد هولاكو كانوا قد اهتموا بالقائين

على الصيد في البلاد الشامية ، فقربوهم اليهم حتى صاروا من أصحاب الخطوة عندهم (١٠٤) •

على أنه في الوقت الذي أسهم فيه تيممورلنك بدور في الارتقاء بحاضرة دولته سمرقند ، نراه يلحق بأراضي الدولة المملوكية كارثة حضارية ذات أثر بالغ في انحطاط فنونها وتأخرها الى أجيال ، وتفاقمت تلك الأزمة بترحيلة أهل دمشق من فضلائها وأرباب حرفها وفنونها مما كان له أثر بالغ الخطورة على كافة الجوانب الحضارية ، إذ أضعفت أحداث التخريب التي أعمالها تيممورلنك من شأن نظم الري والزراعة في بلاد الشام فضلا عن تناقص أعداد العناصر العاملة في زراعة الأراضي ، كما أصيب النشاط الصناعي بتدهور شديد كان من أهم مظاهره ذلك الارتفاع الهائل في أسعار السلع الصناعية في بلاد الشام (١٠٥) وظلت الحال على ذلك الى أن بذل السلاطين الذين جاءوا من بعد فرج بن برقوق جهودا موفقه في سبيل اصلاح نظم الري والزراعة في الشام (١٠٦) •

أما مصر ، فقد كان لانهيار النظام الاقطاعي المواكب لأحداث الغزو التيموري على الأراضي الشامية أثر في أحداث هزات اجتماعية لحقت بالحياة الخاصة لكل فئة اجتماعية ، حيث انتشر الفقر والفاقة واشتد الاستياء بالمصريين فلجأوا الى الحلول الانسحابية قرارا من قسوة الحياة ورغبة في الهناء دون عناء (١٠٧) ، ويعكس لنا هذا الأمر انتشار ظاهرة

التصوف في مصر حيث اشتدت في تلك الآونة عن ذى قبل ،
وضمت بيوت الصوفية كثيرا من الدخلاء الذين أقبلوا على
هذه الأماكن فرارا من قسوة الحياة ، وكان طبيعيا أن تشمل
ضروب الإصلاح التى أقامها كل من السلطان برقوق وابنه فرج
بما يتفق والظروف المحدقة بعهدهما اللذين أخذوا سبيلهما الى
الانقراض أمام أطماع السوريين وغارات تيمورلنك ، وليس
أدل على ذلك من أن البناء الحضارى في عهد الاثنين لم يصل
الى ما وصل اليه السابقون واللاحقون فيما عدا ما أقاموه
من خوانق وحسبنا في ذلك أن أول المنشآت المعمارية في عهد
الجراكسة كانت الخانقاه التى شيدها برقوق للصوفية في ١٢
رجب سنة ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م (١٠٨) ويبدو ان الضعف
الاقتصادي الذى عانت منه البلاد المصرية في تلك الآونة قد وقف
حائلا أمام النشاطات الحضارية حتى بلغ الأمر بأن غدت
خانقاة الظاهر برقوق مؤسسة دينية لبنى واحد يؤدى وظائف
ثلاث مؤسسات المسجد والمدرسة والخانقاه .

ونهج السلطان فرج سبيل أبيه برقوق ، فأقام مؤسسة
لصوفية سنة ٨١١ هـ وكانت البلاد حينذاك لم تفق من الكارثة
التي أحدثها تيمور حيث ظلت آثارها قائمة ، وتذكر المصادر
أنه كان من شأن تلك الظروف السيئة أن يلقي العمال والصناع
الذين ساهموا في بناء تلك المؤسسة الدينية القسوة والجور
مع ضالة الأجور وأن يستولى السلطان فرج بإثمان زهيدة

على كتب ومصاحف مدرسة السلطان شعبان ونقلها الى
مؤسسته (١٠٩) •

هذا ولم نظهر لنا الآثار القائمة التي ترجع الى عهد
السلطان الظاهر برفوق وابنه فرج سوى هذه المؤسسات
الدينية التي اقيمت في وقت اشتهد فيه تيار التصوف عن ذي
قبل •

كما أننا لم نر في بطون الكتب المعاصرة ما يفيد الى أن
الجانب الحضاري قد أخذ حظاً من عناية الأمراء في عهدي برفوق
وابنه فرج اللهم الا ذلك القصر الذي أنشأه الأمير الطواشي
سيف الدين بهادر وسرعان ما خصصه السلطان بوفاة هذا
الأمير سنة ٨٠٢هـ ليكون منزلاً للأمراء الدولة (١١٠) •

والمعروف أن العادة جرت على أن يترك الأمير أملاكه بعد
وفاته الى السلطان يتصرف فيها كيفما يشاء فيهبها لمن يشاء
ولمن يستحق ، على أن تخصص قصر بهادر على هذا النحو
بعد وفاته من قبل السلطان دون تخصيصه للأمير بذاته ، دليل
على أن السلطان رغب في أن يحظى بعطف الأمراء وولايتهم له في
وقت كان في ميسس الحاجة لئلا ذلك حتى يتفرغ لمشروعاته في
الدفاع ازاء ما ألم بسلطته من أطماع خارجية من جانب تيمور
لنك وثور سوريا •

وصفوة القول فإن محدودية نشاط مصر المملوكية في أول

عهد الجراكسة أتاحت لتيمورلنك أن يتجه صوب الأراضى
الملوكية تنفيذا لسياسته التوسعية فشن عدة غارات على بلاد
الشام سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م كان من شأنها أن ألقت هذه
البلاد فى هوة من الفوضى ، وأنزلت بها كارثة حضارية امتدت
آثارها الموحشة الى مصر بحيث منيت أحوالها الاقتصادية
بضعف شديد وشعر الأهليون بالظلم والجور إزاء السياسة
التعسفية التى أقدم عليها الأمراء فى جمع الضرائب بدعوى
الجهاد ، وانتشرت على أثر ذلك ظاهرة التصوف بضمورة لم
يسبق لها مثيل وظلت الحال على ذلك حتى جاء خلفاء فرج بن
برقوق وبذلوا جهودا موفقة فى سبيل الإصلاح .

الهوامش

- ١ — أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر — حوادث سنة ٦٥٨ هـ .
- ٢ — المقرئزي : السلوك — ١ ، ص ٥٢٤ ، ٥٧٤ ، ٥٨٤ .
سعيد عاشور : العصر المالكي في مصر والشام ،
صفحة ٤١ وما بعدها .
- ٣ — حول تماسك الماليك البحرية لمواجهة خطر القطار ،
أنظر ابن واصل : مفرج الكروب — ٤ نشر د . حسنين
ربيع . المقرئزي : السلوك — ١ ، ص ٤١٩ — ٤٢٠ .
- ٤ — المقرئزي : الخطط — ٢ ، ص ٣٠١ .
السيوطي : حسن الماضرة ، د ٢ ص ٨٦ — تاريخ
الخلفاء ، ص ٣١٨ .
- ٥ — المقرئزي : الخطط — ٤ ، ص ١٦١ ط النيك .
- ٦ — أبو الفدا : المختصر ، حوادث سنة ٦٥٨ هـ ، أنظر .
- ٧ — المقرئزي : الخطط ، د ١ ، ص ٩١ و ١٩٠ .
- ٨ — أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ١٠ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .
— المقرئزي : الخطط ، د ١ ص ١٩٠ و ٢٤١ — السلوك
د ٣ ص ١١١٦ .
- ٩ — يدور محور ذلك النزاع حول أطماع الجراكسة
والماليك ذلك أن السلطان برقوق اختص الجراكسة
بالاقتاعات والوظائف الكبيرة على حساب الماليك

الترك الذين دبروا مؤامرة لقتله وإعلان المتوكل
(٧٦٢هـ - ٧٨٤هـ) سلطانا بديلا عنه ، غير أن برقوق
تمكن من عزل المتوكل ، وأحل محله الواثق بالله ، الأمر
الذى جعل الترك يقفون بزعامة منطاش نائب ملطية
ونائب حلب ، ومعهما يلبغا الناصرى ودخلوا القاهرة
مدفوعين بخروج مدن الشام عن طاعة برقوق ، وتذمر
المماليك في القاهرة وسخطهم على برقوق في وقت انتشار
الطاعون بالبلاد ، وانتهى الأمر بسيطرة يلبغا الناصرى
على القلعة ، على أن برقوقا لم يلبث أن عاد الى السلطنة
للمرة الثانية (٧٩٢ - ٨٠١ هـ) وظل بقرمائه حتى تخلص
منهم *

- ابن حجر : الدرر الكامنة ، د ٤ ، ص ٣٦٦ .
١٠ - ابراهيم طرخان : مصر في عصر دولة المماليك
الجراكسة ، ص ٢٦١ ، أنظر :
١١ - المقرئى : السلوك د ٣ ، حوادث سنة ٨٠٠ هـ .
١٢ - ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٩ ، ص ٣٧٦
وما بعدها *
١٣ - الرمزي : تلفيق الأخبار ، صفحة ٥٨٥ و ٥٨٦ انظر
١٤ - ابراهيم طرخان : المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
١٥ - ابن أياس : بدائع الزهور ، د ١ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٤
١٦ - المقرئى : الخطط ، د ١ ص ٩١ ، أنظر *

- ١٧ — ابن دقاق : الانتصار ح ٤ ، ص ١٣٣ — ١٣٦ ،
ح ٥ ، ص ١٥ .
- ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٤٧ وما بعدها ،
ص ١٧٤ .
- ١٨ — النويرى : نهاية الازب ، ج ٢٩ ورقة ٣٢٤ و ٣٢٥ .
- ١٩ — ابن أبياس : المصدر نفسه ، ح ١ ص ٣٠٠ انظر .
- ٢٠ — سعيد عاشور : العصر المالكي في مصر والشام ،
ص ٢٥٦ .
- ٢١ — العيني : عقد الجمان ، ص ٢٥ ، حوادث سنة ٨٠٣ .
- ٢٢ — العيني : المصدر نفسه والسنة .
- ٢٣ — القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٣٣٦ .
- ٢٤ — انظر رأيا مخالفا لذلك (ابراهيم طرخان : مصر في
عصر الماليك الجراكسة ص ٧٤) .
- ٢٥ — يفتح أوله وثانية وتقع على جنوب وادى الصفد ضمن
الأقليم الرابع ، وقبيل أنها من أبية ذى القرنين بما وراء
النهر ، ويقال لها بالعربية سمران (المقدسى) : أحسن
التقسيم ، ص ٢٧٨ — ياقوت الحموى : معجم البلدان
ح ٥ ص ١٢١ .
- ٢٦ — ويعنى بها اقليم خوارزم ، الذى ، يقع على شاطئ
جيحون ويقع الى الشرق والجنوب من اقليها خراسان

وما وراء النهر ، ويحسبه الجغرافيون من الاقليم
السادس •

(الاصطخرى : مسالك الممالك ص ١٩٨ — ياقوت :

معجم البلدان ح ٣ ص ٤٧٤) •

٢٧ — من نواحي أصرخر باقليم فارس (الاصطخرى :

مسالك الممالك ص ٣٢٤) •

٢٨ — بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه يحيط بها مما

يلي المشرق الجبال والديلم ، ومما يلي المغرب حدود

اللان ونواحي من حد الجزيرة ، ومما يلي الجنوب

العراق ونواحي من حدود الجزيرة (الأصطخرى :

مسالك الممالك ص ١٠٨) •

٢٩ — ابن عريشاه : عجائب المقدور ص ٥ — ١٤ •

أبو الجاسن : النجوم الزاهرة ح ١٢ ص ٢٥٦ وما بعدها •

Ma[co]m : The History of Reasia p, 285—296

٣٠ — أبو الجاسن : النجوم الزاهرة ، ح ١٢ ص ٢٥٦ وما

بعدها أنظر •

٣١ — ابن عريشاه : عجائب المقدور ص ٧١ وما بعدها •

ابراهيم طرخان : المصدر نفسه ، انظر ، ص ٧٧ •

٣٢ — سعيد عاشور : العصر المالكي في مصر والشام

ص ١٥٩ ، أنظر •

٣٣ — المقرئى : السلوك ح ٣ ، حوادث سنة ٨٠١ •

ابن اياس : بدائع الزهور ، ح ١ ص ٣٢٦ أنظر •

wiet : L' egypt Arabe J,Jv, p. ٥25 — ٣٤

٣٥ — ابن اياس : بدائع الزهور ، د ١ ص ٣٢٦ .

٣٦ — ابن عربشاة : المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

٣٧ — المقریزی : السلوك : حوادث سنة ٨٠٣ .

أبو المحاسن : النجوم المزهرة ، د ١٢ حوادث سنة ٨٠٣

٣٨ — المقریزی : السلوك د ٣ ، حوادث سنة ٨٠٣

أبو المحاسن : المصدر نفسه حوادث سنة ٨٠٣ .

٣٩ — المقریزی : المصدر نفسه والسنة .

٤٠ — ابراهيم طرخان : المصدر نفسه ، ص ٨٢ . تظاهر

تيمور لنك برغبته في الصلح ، وأقنع الشاميين ، وأشار

مستشارو فرج بطلب الصلح ، وانقسم على أثر ذلك

المعسكر المملوكي الى فريقين حتى بلغ ببعضهم الأمر

بأن نادوا بعزل السلطان فرج واقامة سلطان جديد ،

وخشى أنصار السلطان أن تؤدي هذه الفتنة الى اعلان

سلطان جديد ، ولم يسع هؤلاء الا أن أجبروا السلطان

فرج على العودة الى مصر ، انظر طرخان المصدر نفسه

ص ٨٣ .

٤١ — كان ذلك النزاع سببا في أن يسعى كل من الجانبين

الى تكوين حلف لضرب الآخر ، فسعى برسباي لعقد

معاهدة دفاعية مع العثمانيين .

(موير : تاريخ دولة المماليك في مصر ، ص ١٢٩) في حين
 مهد شاه رخ لحلف ضد برسباي يضم أمير الشاة البيضاء
 وأمير دلقادر وأوعز الى أمير دلقادر باطلاق سراح جانيك
 أخطر منافسى لبرسباي (أنظر طرخان المصدر نفسه
 ص ٩١ ، ٩٢) *

wiet : L'egypte ARabe , Tlv p 585—586

- ٤٣ — السخاوى : التبر المسبوك ص ٩٧ و ٩٨ .
 ٤٤ — المقرئى : السلوك د ٣ حوادث سنة ٨٠٣ هـ .
 ٤٥ — أبو المحاسن : النجوم د ١٢ حوادث سنة ٨٠٣ هـ ،
 صفحات ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٣٨ و ٢٣٩ .

Wolker : Jenghiz Khan , p. 27

- ٤٧ — المقرئى : السلوك د ٣ حوادث سنة ٨٠٣ هـ ،
 أبو المحاسن : النجوم د ١٢ حوادث سنة ٨٠٣ هـ .
 ٤٨ — عرف المسلمون الخطط البيزنطية في ادارة الحروب
 وكان العرب المسلمون قد واجهوا البيزنطيين وخططهم
 العسكريين منذ أن نجحوا بخططهم في فتح مصر والشام
 والمغرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وتذكرنا
 الخطة التيمورية في غزو الشام — بالخطة العربية التي
 اتبعها عمرو بن العاص في فتح مصر ، كما تذكرنا الخطة
 الشامية الى اتبعتها القيادة لدرء الخطر التيمورى بالخطط

التي اتبعها البيزنطيون لمنع العرب المسلمين من دخول مصر والشام ، على أن الشاميين لم يعتصموا بحصونهم المنيعه الا بعد أن أخفقت خطتهم التنظيمية * (حول الخطط البيزنطية ومايقابلها من خطط عربية اسلامية في عهد الفتوحات زمن الخليفة عمر بن الخطاب أنظر الواقدي: فتوح الشام ج ٢ الفصل الأخير) *

- ٤٩ — المقریزی : السلوك ج ٣ ، ص ١٠٣٢ ، أنظر *
- ٥٠ — المقریزی : السلوك ج ٣ ، ص ١٠٣٢ *
- ٥١ — المقریزی : المصدر السابق والصفحة *
- ٥٢ — المصدر السابق والصفحة *
- ٥٣ — المقریزی : السلوك ج ٣ ، ص ١٠٣٣ *
- ٥٤ — المقریزی : المصدر السابق ج ٣ ، ص ١٠٣٣ و ١٠٣٤ *
- ٥٥ — المقریزی : المصدر السابق ج ٣ ، ص ١٠٣٤ *
- ٥٦ — المصدر السابق والصفحة *
- ٥٧ — المقریزی ، المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٣٤ *
- ٥٨ — ابن تغرى بردى : النجوم ج ١٢ ، ص ٢٣٩ *
- ٥٩ — المقریزی : السلوك ج ٣ ص ١٠٣٩ ، أنظر *
- ٦٠ — ابن تغرى بردى : النجوم ج ١٢ ص ٢٣٩ *
- ٦١ — نفس المصدر السابق والصفحة *

- ٦٢ — من بين هذه الترتيبات بنائه لقلعة خشبية بارتفاع
يمائل ارتفاع قلعة دمشق ، ويذكر المعاصرون أن العسكر
التيموري صعد هذه القلعة حتى بلغوا أقصى ارتفاعها
وقاتلوا أهل دمشق الذين احتموا بداخل قلعتهم .
• (أبو المحاسن : النجوم د ١٢ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣)
- ٦٣ — أبو المحاسن : النجوم ، د ١٢ ، ص ٢٣٥ .
- ٦٤ — المقرئزي : السلوك ، د ٣ ، ص ١٠٤٤ .
- ٦٥ — المقرئزي : المصدر السابق والصفحة — أبو المحاسن :
النجوم ، د ١٢ ص ٢٣٥) .
- ٦٦ — أبو المحاسن : النجوم ، د ١٢ ، ص ٢٣٩ .
- ٦٧ — أبو المحاسن : المصدر نفسه والصفحة .
- ٦٨ — المقرئزي : السلوك د ٣ — حوادث سنة ٨٠٣ —
أبو المحاسن : النجوم د ١٢ ، ص ٢٤١ ، يمثل هذا
الحاصل الرقمي ألف تومان ، والتومان يعادل عشرة آلاف
دينار (أبو المحاسن : النجوم د ١٢ ، ص ٢٤١) .
- ٦٩ — أبو المحاسن : النجوم ، د ١٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
- ٧٠ — أبو المحاسن : المصدر نفسه د ١٢ ، ص ٢٤٢ .
- ٧١ — المصدر نفسه د ١٢ ، ص ٢٤٤ .
- نشر كل أمير في ناحيته أعمالا تعسفية أملا في جباية
الأموال ، فأجرى على الأهالي (العذاب من الضرب

والعصر والاحراق بالنار والتعليق منكوسا .. فكان
الرجل اذا أشرف على الهلاك يحل عنه حتى يستريح ،
ثم يعاد عليه العقوبة أنواعا (...) أبو المحاسن : المصدر
نفسه والصفحة .

٧٢ — المقرئى : السلوك د ٣ حوادث سنة ٨٠٣ أبو

المحاسن : النجوم د ١٢ ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

٧٣ — عجائب المقدور ، ص ٩٦ — ٩٨ .

٧٤ — ابن عربشاه : المصدر نفسه والصفحات .

٧٥ — ابن عربشاه : المصدر نفسه والصفحات .

٧٦ — المقرئى : السلوك د ٣/١ أحداث سنة ٦٥٧ و ٦٥٨ .

ابن كثير : البداية والنهاية د ١٣ ، ص ٢٦٨ و ٢٦٩ ،
انظر .

٧٧ — المقرئى : الخطط ، د ١ ، ص ٩١ ، أنظر .

٧٨ — عارض القضاء السلطان فرج بن برقوق فى أمر جباية

الأموال عن طريق فرض ضرائب استثنائية على الفئات

المعروفة بثرائها فى مصر ، كما عارضوه أيضا فى رغبته فى

حل نصف الأوقاف (اعانه على النفقة فى العساكر) من

البطالين من الذين استبعدوا من الاشتراك فى الحروب

خشية أن يستولى هؤلاء الجنود على تلك الأموال ، ويميلون

كل الميل (عند اللقاء مع من غلب) أنظر المقرئى :

السلوك د ٣ ، ص ١٠٢٩ ، وأبو المحاسن : النجوم ،

د ١٢ ص ١٢٨ •

٧٩ — المقریزی : المصدر السابق والصفحة •

٨٠ — السلوك ، د ٣ ، ص ١٠٥٢ •

٨١ — عقد الجمان حوادث سنة ٨٠٣ •

٨٢ — محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في

مصر ، ص ٣٣٤ ، أنظر •

٨٣ — هي الأراضى التى يأخذ ثمنها قوم من الناس على

سبيل البر •

(أنظر المقریزی : السلوك ، د ٣ ، ص ١٠٥٢) •

٨٤ — المقریزی : السلوك ، د ٣ ، ص ١٠٥٣ — ١٠٥٥ ،

الخط د ٢ ، ص ٢٥٢ • ابن آيأس : بدائع الزهور ، د ١

ص ٣٣ ، محمد محمد أمين ، المصدر نفسه ص ٣٣٤ •

٨٥ — المقریزی : السلوك ، د ٣ ، ص ١٠٥٣ •

٨٦ — المقریزی : المصدر السابق والصفحة •

٨٧ — المقریزی : المصدر السابق ص ١٠٥٤ •

٨٨ — المقریزی : المصدر السابق ، ص ١٠٥٣ •

٨٩ — المقریزی : المصدر السابق ، ص ١٠٥٦ •

٩٠ — المصدر السابق ، د ٣ ، ص ١٠٥٣ •

- ٩٢ — المصدر السابق ، د ٣ ، ص ١٠٤٠ .
- ٩٣ — محمد محمد أمين : المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .
- ٩٣ — المقریزی : السلوك د ٣ ، ص ١٠٥٤ و ١٠٥٧ و ١٠٦٦ .
- ٩٤ — المقریزی : السلوك ، د ٣ ، ص ١٠٥٨ .
- ٩٥ — المقریزی : المصدر السابق ، د ٣ ، ص ١٠٥٩ .
- ٩٦ — المقریزی : المصدر السابق ، د ٣ ، ص ١٠٤٩ .
- وكان في تلك الآونة قد ارتفعت قيمة العملات الفضية والذهبية لشدة الطلب عليها من قبل التجار الأوربيين ، ورغبتهم في تصدير النحاس الى الشرق الاسلامي وترويجا لمنتجات المناجم النحاسية التي ازدهرت وارتقت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، واشتدت الأزمة على أثر ذلك حتي غدت أكثر سودا بالدولة المالكية (أنظر آشتور : أحوال الشرق الأوسط الاقتصادية والاجتماعية في العصور الوسطى ، ص ٣٨٩) .
- ٩٧ — زكي محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ١٧٧ — ١٧٩ .
- ٩٨ — سعيد عاشور : العصر المالكي في مصر والشام ص ٨٨ و ٢٢١ .
- Lanc Poole : His of Egpt in The medid Le Ages , p.212
- ٩٩ — زاد اتصال العالم الاسلامي بالشرق الاقصى في عصر المغول زيادة كبيرة ، مما جعل المغول على اتصال دقيق بالثقافة الصينية ، ومن هنا كان عصر المغول عصر

ازدهار نسبي في الفنون لاسيما فن التصوير وصناعة الخزف ، وذلك على الرغم من شهرتهم في تخريب المدن وسفك الدماء ، وتتجلى أثر الفن الصيني في صور المدرسة المخولية في سحنة الأشخاص ، وتمثيل الطبيعة والدقة في الرسوم النباتية والرسوم الحيوانية ، وتظهر التأثيرات الصينية في رسوم المسح والحيوانات الخرافية (زكي حسن : فنون الاسلام ، ص ١٧٧ انظر) .

١٠٠ — زكي حسن : المصدر نفسه : ص ٣٧٦ .

١٠١ — زكي حسن : المصدر نفسه والصفحة .

١٠٢ — حسن الباشا . الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية د ١ ص ٥٠١ .

١٠٣ — البازدار لقطة فارسية مؤلفة من كلمة باز بمعنى صقر ودار بمعنى ممسك ، ومعناها العام حامل الصقر ، وكان البازدار موظفا من أرباب الخدم في مصر والشام في عصر المماليك وكان يكلف بحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده عند الخروج للصيد (القلقشندي : صبح الاعشى د ٥ ، ص ٤٦٩ — حسن الباشا ، المصدر نفسه ، د ١ ، ص ٢٩٢ .

١٠٤ — حسن الباشا : المصدر نفسه د ١ ، ص ٢٢٨ ، انظر

١٠٥ — ومن بين هذه السلع ، السكر ، وتذكر المراجع أن أسعار هذه السلعة ازدادت في بلاد الشام في العهد

الثامن من القرن الرابع عشر الميلادي واشتدت في
بداية القرن الخامس عشر الميلادي ، وهى الفترة الزمنية
التي وقع فيها الغزو التيمورى على تلك البلاد (آشتور :
المصدر نفسه ، ص ٤٠٧) •

١٠٦ — المقرئى : السلوك ، د ٢ ، ص ٨٤٣ — أبو المحاسن :

النجوم ، د ٦ ، ص ٢٧٢ •

١٠٧ — محمد محمد أمين ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ •

١٠٨ — ابن اياس : بدائع الزهور ، د ١ ، ص ٢٦٤ و ٢٦٥ •

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، د ١ ، ١٩٢ •

— محمد أمين : المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ •

١٠٩ — ابن اياس : بدائع الزهور ، د ١ ، ص ٣٦٥ وما بعدها

١١٠ — المقرئى : الخطط ، د ٢ ، ص ٧٤ •

ABSTRACT

The period in which the Taymouri invasion happened at El Sham — is considered an urgent historical period in the history of Mamluks, this is because that invasion has meanings which deserve study and consideration, it reflex the state of weakness which occurred in Egypt during the Mamluks, and which is characterized by the laziness of Egypt in the first Age of Gark's folk which is to defeat the outer danger this leads to that trouble in the Moslem Eastern countries.

And in front of Egypt's laziness under the Mamluks we find Taymourlanq beginning to enlarge his domination, so he turns to Iraq and for parts of the Mamluk empire in 803 H, after he succeeded in opening the north of Persia and Elvelga river.

Some resources assure that he did not find any difficulty in fighting the inhabitants of these countries and he gained many gains.

The military plans show us that Egypt was far from place of the military deeds this is because Mamluk's authority in Egypt left this offer to the leadership of El Sham, this makes the leadership follow protective plans which remind us of the Byzantine plans, for this leadership did not find any way in front of those rabid attacks except hiding in the strong places this makes the Mamluks lose itself in administering wars and Taymourlanq did not find any difficulty in entering El Sham and defeat its inhabitants.

This Taymouri attack had a bad effect on the social and economical life in Egypt and El Sham, and they faced a very bad cultural crisis although he shared in the cultural development in Sumrakund,

المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة

- ١ - العيني (بدر الدين محمود ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان الجزء الخامس
والعشرون • مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم
١٥٨٤ تاريخ •
- ٢ - النويري (شهاب الدين أحمد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
نهاية الأرب في فنون الأدب جزءان ٢٨ و ٢٩ • مخطوط
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥٩ معارف عامة •

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

- ٣ - ابن اياس (أبو البركات محمد ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)
بدائع الزهور في وقائع الدهور الجزء الأول بولاق
سنة ١٣١١ هـ •
- ٤ - ابن الجيعان (شرف الدين يحيى ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م)
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، مصر ، المطبعة
الأهلية سنة ١٢٩٨ هـ •
- ٥ - ابن حجر (شهاب الدين بن علي ت ٨٥٢ هـ)
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة الجزء الرابع الهند
سنة ١٩٢٩ م •

- ٦ — ابن دقماق (إبراهيم بن محمد المصرى ت ٨٠٩ هـ /
١٤٠٦ م) *
الانتصار بواسطة عقد الأمصار الجزء الرابع بولاق
سنة ١٣٠٩ هـ *
- ٧ — الأصبخري (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع
الهجرى) *
مسالك الممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال القاهرة
١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م *
- ٨ — ابن عربشاه (شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى
ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) *
عجائب المقدور فى أخبار تيمور مصر سنة ١٢٨٥ هـ *
- ٩ — ابن الفرات (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)
تاريخ الدول والملوك ، الجزء التاسع نشر قسطنطين زديق
ونجلاء عز الدين بيروت ١٩٣٨ *
- ١٠ — أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل ٧٣٣ هـ / ١٣٣١ م)
المختصر فى أخبار البشر ، الجزء الثالث القاهرة ١٣٢٥ هـ
- ١١ — ابن كثير (عماد الدين ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) *
البداية والنهاية ، الجزء الثالث عشر مصر ١٣٥١ هـ *
- ١٢ — السخاوى (شمس الدين محمد ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)
القبر المسبوك فى ذيل المسبوك ، بولاق ١٨٩٦ م *

١٣ — الشيوطنى (عبد الرحمن بن أبى بكر ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

• حسن المحاضرة ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٨٨١ م

١٤ — تاريخ الخلفاء القاهرة ١٣٥١ هـ •

١٥ — القرمانى (أبو العباس أحمد الدمشقى ت ٩٣٩ هـ /

١٥٣٢ م)

• أخبار الدول وآثار الأول ، بغداد ١٢٨٢ هـ •

١٦ — القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس ت ٨٢١ هـ /

١٤١٨ م) •

صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، الجزء الخامس دار

الكتب المصرية •

١٧ — أبو المحاسن (جمال الدين يوسف تفرى بردى ت

٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م) •

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الثانى

عشر • طبعة مصور من نسخة دار الكتب المصرية •

١٨ — المقرئى : (تقى الدين أحمد ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) •

المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار جزآن بولاق

• ١٢٧٠ هـ •

١٩ — السلوك لمعرفة دول المارك ، الجزء الثالث ، تحقيق

(سعيد عاشور) • دار الكتب المصرية ١٩٧٢ م •

- ٢٠ - المقدسى (ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م)
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦
- ٢١ - الواقدي (ت ٢٠٧ هـ)
- فتوح الشام ، الجزء الثاني ، بيروت ، ط دار الجيل
- ٢٢ - ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ - ١٣٠٨ م)
- شهاب الدين ابن عبد الله
- معجم البلدان ، الجزءان الثالث والخامس طبعة السعادة
- طبعة أولى ١٩٠٦ م - ١٩٢٣ هـ

ثالثا : المراجع العربية الحديثة

- ٢٣ - ابراهيم طرخان : مصر في عصر دولة المماليك
الجراسة القاهرة ١٩٦٠ م
- ٢٤ - آشتور : تاريخ الشرق الأوسط الاقصادى والاجتماعى
في العصور الوسطى • الطبعة الأولى - دمشق
- ٢٥ - حسن الباشا : الفنون الاسلامية والموظائف على
الآثار العربية ، الجزء الأول القاهرة ١٩٦٦ م
- ٢٦ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية الجزء
الثانى القاهرة ١٩٤٦ م
- ٢٧ - زكى محمد حسن : فنون الاسلام الطبعة الأولى
القاهرة ١٩٤٨ م

٢٨ — سيعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المالكي في مصر
والشام ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٥ م .

٢٩ — محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في
مصر (عصر الماليك) . الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٠ م .

٣٠ — موير سير. وليام : تاريخ دولة الماليك في مصر ، ترجمة
محمد عابدين وسليم حسن ، مصر ١٩٢٤ م .

رابعا : للمراجع الأفرنجية

31 — Lane Poole :—

A History of Egypt in The Middle ages
(London 1925).

32 — Malcolm Sir J,

The History of Persia (London 1979).

33 — Wiet (Gaston)

I, Egypte Arabe (Histoire de la Nation Egyptien-
ne Tom IV Paris 1937.

34 — Wolker, C.C.

Jenghiz Khan (London 1939).

رقم الايداع ١٩٨٦/٥٥٩٩

ترقيم دولى ١٢٩٦/٢٥/٦ — ٩٧٧

مطبعة الأمانة

٣ شارع جنينة بدران شبرا - مصر

the 1990s, the number of people in the world who are under 15 years of age is expected to increase from 1.1 billion to 1.5 billion. The number of people aged 65 and over is expected to increase from 200 million to 400 million. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion.

1. 1990年12月29日，全国人大常委会通过了《中华人民共和国香港特别行政区基本法》。

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

[illegible]

1

1

1

1

1

1